

THE SONGS OF SATAN

مزامیر ابلیس

IN THE NAME OF

أحمد طه



إهداء

إلى الذين يقرأون بعقولهم قبل أعينهم، ويصغون بقلوبهم قبل آذانهم
أهدي إليكم..... مزامير إبليس.

بينما أنا في عزلتى في إحدى ليالي وحدتي، أتاني إبليس في هيئة إنسان طويل القامة، عريض الهامة، متلفحًا بعباءة سوداء ماسكًا بيده عصًا معكوفة شبيهة بما كان يمسكها ملوك الفراعنة، أمرني بالإشارة أن أتبعه، فلم يكن في يدي حيلة إلا الإذعان.

سرت أتبعه بخطوات بطينة متوجسة حتى أتينا مكانًا خلاء، أمسك بي وضرب بقدمه الأرض، فطار بي إلى اللامدى واجتاز بي السماء، كانت الليلة صيفية، لا أثر فيها لغيوم، والسماء مزدانة بالنجوم، المنظر أقرب إلى لوحة "الليلة النجمية".

سرنا نعبّر الكواكب والنجوم، وعندما اقتربنا من قرص كالشمس أغمضت عيني خشية العمى، وعندما فتحتهما وجدت نفسي في مكانٍ أشبه بقصر، واقفًا وسط جمع من الجان والشياطين ليس لهم حصر، خاطبهم بصوته المهيب، وقال: إنه اختارني لما في من خصال حسان؛ صدق وأمانة وسرعة الحفظ مع عدم نسيان، وإن مهمتي هي جمع ما قال من أحاديث ساروا على هداها لأمد من الزمان بعيد.

عندما انصرف الجمع استأذنته وسألت: أين أنا؟

- أنت في أرض لم يخط عليها من قبلك إنسان، ألا يسعدك أن تكون

أنت أول من يدخل من بني جنسك أرض الجان؟!!

- يسرنى.. لكن لماذا؟

قال: أصابني الملل فقد صرت عاطلاً بلا عمل، قد يدهشك أني مكثت مئة عام أعد الخطط لأخرج آدم من الجنة، وألقاً أخرى كي أشعل الفتنة بين الأخوين، أما الآن أنتم والأسماك سواء، القوي فيكم يقتل الضعيف لأتفه الأسباب، فعلامَ تظل الحرب بيننا قائمة؟

سكت قليلاً ثم أكمل: لذا عزمت أمري أن أمد إليكم يدي بالسلام، وقد شاء قدرُك أن تكون أول رسلي إلى بني الإنسان.

- إذن سوف تعيدني بعد أن أنهى المهمة؟

- نعم، ولك عليّ حين تنهي الأمر أن أحقق لك كلَّ ما تتمنى.

سألته: هل توجد مدة زمنية عليّ أن أنهى مهمتي قبلها؟

- لا يوجد في هذا المكان معنيّ للزمن فمتى أنهيت مهمتك عدت بك من حيث أتيت، واعلم أنه مهما بذلت من جهد فلن تشعر بإعياء أو تعبٍ، كما لن تحتاج للنوم ولن ينال منك جوعٌ أو ظمأ.

تركت القصر الشاهق الذي يشبه الحصن، وسرت بمفردي في المدينة أهيّم على وجهي في الشوارع المتداخلة، أتفادى نظرات سكانها المباشرة منها والمتوارية.

أثناء سيرتي شعرت كأن أحداً يتبعني، وقفت أتلفت حولي فلم أجد شيئاً، فتابعت سيرتي وأنا افكر في حظي العسر الذي جعل إبليس ينتدبني من دون كل البشر لأحمل رسالته، كيف لإبليس أن يشرع في

خدمة الإنسانية؟! هذا أمر مخالف لكل ما جاءت به الكتب السماوية،
لا بد أن في الأمر خدعة.

مرة أخرى علودنى شعور أن شيئاً ما يقتفي أثري ويراقبني التفتُ
فجأة مدققاً النظر حولي، لكني لم أجد شيئاً، تابعت سيرتي وأنا أفكر
في كل ما قرأت عن عالم الجن من كتب صورتهم على أنهم مجموعة
من الهمج لا شغل لهم إلا إنزال الأذى بالإنسان، ولكن ما أراه ينافي
هذا تماماً، فعندهم من الحضارة ما يضاهي ما لدينا، هل كل ما ذكر
عنهم محض افتراء؟

أمل أن يكونوا ودودين ومسالمين كي أتمكن من قضاء المهمة في
أسرع وقت.. من أين أبدأ وأنا لا أملك منهجاً أو خطة؟ أشعر بصعوبة
الأمر، ويملؤني الخوف أن أقع في خطأ أو ذلة، عزمت أمرى أن
أسأل أول من ألقاه.

لفت نظري أنني كلما توغلت في المدينة ضاقت شوارعها وصغرت
منازلها، لكن يظل المظهر الخارجي للمنازل جميلاً، فكلها مطلية
بالوان زاهية مبهجة، و بعد قليل من سيرتي وقعت عيناى على جنى
يقف جوار باب منصوب في الفراغ، يصل الخلاء بالخلاء، لم أجد
لوجوده معنى، في طريقى إليه لم أحدد بعدُ كيف أبدأ معه الكلام،
أيجوز أن ألقى عليه السلام؟ هل ذكر الله يحرقهم أم يمر عليهم
بسلام؟ أبطأت في سيرتي أكسب لنفسي لحظات عَليّ أجدُ كلماتٍ

مناسبة.. لا أعلم في أي وقت نحن، ولا أدري عبارات الصباح أنسب أم عبارات المساء.

على بعد خطوتين منه فتح الله علي، فقلت: كيف الحال؟
- الحمد لله.

فجأتى رده ، ولم أستطع كتم دهشتي فقلت متسائلاً:

- أنت مؤمن بالله!

- من ينكر وجوده؟

- هل رأيتَه؟

- الله يدرك بالحس لا بالحواس.

- لم أكن أظن أنكم مؤمنون!

- منا المؤمنون ومنا دون ذلك.

أردت التوقف عن طرح الأسئلة لكن فضولى كان أكبر من إرادتي
فقلت: ما الهدف من هذا الباب؟

- أتقصد باب الحياة؟ لا أحد يعلم، البعض يقول هو رمز للوجود،
وأخرون قالوا إنه يصل أقصى الشمال بأقصى الجنوب، لا أحد يعلم
إلى أين يصل فكل من عبر منه لا يعود.

- وهل عُيِّنَ حارسًا عليه؟

- لا.. إنما جئت لأكتشف الحقيقة.

- كيف؟

- سوف أعبره.

- ألا تخشى أن يكون الباب ممراً للموت؟!

- وربما يكون معبراً لحياة أجمل.

قلت قبل أن أرحل: هل أجد عندك شيئاً من أحاديث إبليس؟

- نعم.. "لا شيء في الحياة يبقى أو يدوم، من النقيض للنقيض دوماً

تنقلب الأمور، فارض بقدرك مهما أصابك، فلا الفرح دائم ولا

الهموم" هذا كل ما عندي وإن اردت الاستزادة فإذهب إلى الكاهن

الأعظم.

- وأين أجده؟

- الكاهن لا يغادر المعبد، سر في هذا الاتجاه حتى تجده.

ثم عبر الباب واختفى، فسرت في طريقي إلى المعبد أردد قول

الشاعر "يا خائفاً من دهره كن آمناً ووكّل الأمور إلى الذي بسط

الثرى ... إن المقدر كائن لا يمحي ولك الأمان من الذي ما قدرا"

في المعبد الكبير وقف الكاهن أمام الهيكل يخطب في جمع غفير من

الجان، وقفت على مسافة بعيدة أسترقُ السمعَ بينما يحدثهم بصوته

الرخيم ويقول: "في قديم الزمان احتال نصاب على مجنون، فأخذ ما

شاء من ماله وبناته في مقابل خريطة لكنز مخبأ خلف الغيوم، ولا

تزال الأبناء يتوارثون الخريطة عن جدود الجدود، ولا يزال البحث جارياً ويُعاقب بالقتل المتشككون..

لم يكن الصوت واضحاً لبعد المسافة، فاقتربت أكثر لأسمع ما يقول، لكن ما إن وقعت عليّ عينا الكاهن حتى التزم الصمت فحلّ على المكان السكون والتفتت إليّ جميع الرؤوس وسرت في المكان همهمة، شعرت لحظتها وكأن الدم تسرب من جسدي، لم أدر ماذا يجب علي أن أفعل وقتها.

مرة أخرى عاد الكاهن يخطب لكنه في تلك المرة كان يوجه نظراته إليّ: "مساكين أهل الدنيا، حياتهم سفر لا ينتهي بوصول، تُتعبهم الحركة ولا يريحهم السكون، تخيفهم الظلمة ويعميهم النور، خُلقوا ليشقوا فهم عن الراحة محجبون... قوموا إلى أعمالكم واشكروا ربكم الذي لم يخلقكم على هيئة الإنسان".

سرت إلى الكاهن بعد أن انفض الجمع ونزل عن الهيكل وخلا المكان إلاننا، حيث عاد المكان إلى ما كان عليه من سكينّة وهدوء، فسألته: هل محظور على مثلي الوجود في هذا المكان؟

- لا، كل ما في الأمر أنها المرة الأولى التي تطأ فيها أرضَ المعبد قدمُ إنسان.

- يشرفني ذلك.

- هل من شيء أقدمه إليك؟

- في البداية أريد أن تخصني بحديث عن الحياة.
- الحياة مثل قطار سريع نحن فيه مسافرون، لا أحد يعلم وجهته أو موعدا للوصول، الواقفون أنهكهم التعب، والجالسون متمللون والنامون قتلهم السأم، فالجميع على اختلاف أوضاعهم ساخطون، لكن لا أحد رغم ذلك يرغب بالنزول.

قلت: زدني، فقال: في الحياة جميع الأمور نسبية، فشمالك لغيرك جنوب، وما تعده سفرًا غيرك يعده وصولًا، لحظة شروق الشمس هي عينا لحظة غروب، فلا تغلق عقلك على أفكارك وتشن على من يخالفك الحروب.

قلت: زدني من علمك أيها الكاهن الأعظم.

- عذرًا أنا لست الكاهن الأعظم، ما أنا إلا أحد تلاميذه.

في اللحظة ذاتها ظهرت فطغت بحضورها على كل شيء، لا أدري من أين أنت، ولا من أي باب قدمت.. ظهرت فجأة على بعد خطوات منا، أذهلني تناسق تكوينها، كل نساء الجن حسان، لم تكن هي أول من تقع عليه عينا، فمنذ وصولي إلى أرضهم أبهرني ما لنساء الجن من جمال، ما إن تقع على أحدهن عينا حتى أشرع بالهروب ببصري إلى أي مكان؛ خشية الوقوع في المحذور، هي وحدها لم يسر عليها ما فرضته على نفسي من قانون، فهي كالفن لا يفيد منه

الهروب، كانت تحمل من الجمال ما يصعب على مثلي تحمله أو وصفه.

سارت في اتجاهنا على مهل، حاولت غض الطرف عنها عندما اقتربت لكني لم أقدر، هي الأخرى كانت تتطلع إلي من أسفل إلى أعلى، حيّت الكاهن وحده، ثم خاطبني قائلاً: إن كان الكاهن الأكبر هو مبتغاك، فستكون "رويان" مرشدتك إلى هناك.

في طريقنا إلى الكاهن الأعظم كانت تسبقني بخطواتها، فتسارعت أنفاسي وأنا أسعى للحاق بها، سألتني عن سبب وجودي في المعبد، فأخبرتها وأنا ألهث بالقصة من أولها إلى آخرها. كانت تسمعي بانتباه فلم تقاطعني وعندما انتهيت لم تعلق، سرنا مسافة بعدها دون كلام.

لم أرد أن يمتد زمن السكوت، فقلت: ألا يوجد لمدينتكم خريطة ترشدني إن أردت الذهاب إلى مكان أو أهتدي بها إن ضللت الطريق؟ - لا يوجد عندنا خرائط، وهناك من يتبعك سيظهر لك إن ضللت طريقك أو إن اقتربت من مكان محظور.

إذن كان شعوري صادقاً عندما شعرت أن هناك من يتبعني.. عزمت النية بعد أن تتركني أن أدور أكثر من مرة في نفس المكان حتى يظن أنني تائه فيظهر لي، تابعنا السير صامتين حتى جذب انتباهي مشهداً

عجيب؛ أحد الرهبان يقف وسط مجموعة من الأشجار، يقطع من الأولى إحدى أوراقها ويضعها أسفل الثانية، ثم يقطع ورقة من الثانية ليضعها أسفل الثالثة، وهكذا إلى أن يعود إلى الأولى فيعاود الكرة من جديد.

فسألته هل أجد عندك تفسيرًا لفعله العجيب؟ قالت: لا تسألني عن تفسير واعمل بحديث إبليس "كن غير أبيه أو تغافل، ففي الحياة يتعب كل من فكر، كن كفيفًا ترتح فكلما عاينت عانيت"

ألجمني ردها فالتزمت الصمت إلى أن وصلنا إلى قاعة لها سبعة أبواب، قالت: سننتظر هنا حتى ينتهي الكاهن الأعظم من صلاته.

وقفت أتأمل المكان؛ الأرض من رخام والسقف مدهون بلون السماء، الحوائط مزركشة وفي أوسطها شبك، يطل على حديقة فيها من الزهور جميع الألوان وسط الأزهار حوضٌ رخام مملوء بالماء، جلست على حافته ثلاث جنيات؛ الأولى تضع على رأسها تاجًا من الذهب، وتاج الثانية من الفضة تاجها، والثالثة تاجها من اللؤلؤ.

تعترف الأولى الماء وتلقني به في وعاء الثانية، فتمرره الثانية للثالثة لتعيده من حيث جاء، ثم يعاودن الكرة ثانية وهم ينشدون بعض الترانيم، نظرت إلى مرشدتي راسمًا على وجهي علامات الاستفهام.

قالت ألا لعنة الله على الفضول هو أشر الشرور ، بسببه طرد آدم من الجنة فما أتى الشجرة راغبًا في الخلود وإنما أتاها مدفوعًا بالفضول. للمرة الثانية يلجمني ردها فأطرقت برأسي إلى الأرض والتزمت الصمت، بعد قليل خرج علينا الكاهن الأعظم يرتدي معطفًا من القטיפه أسود مزينًا بنسيج من ذهب وعلى رأسه عمامة كبيرة يعلوها جوهرة، اتجهت "رويان" صوبه وقبلت الأرض أمام قدميه، أما أنا فالتزمت مكاني، ثم رأيتها تشير إليّ فسارا في اتجاهي.

قال: يا بن آدم من أين أتيت؟ وماذا تريد؟

أخبرته بما جرى من المبتدأ إلى المنتهى، فقال: يا لها من مهمة عظيمة لكن عليك الحذر، فالخطأ عواقبه وخيمة.

- منذ وطأت قدمي أرضكم أرى أمورًا غريبة، وعندما يبدر مني السؤال لا أجد لأسئلتني مُجيبًا.

- اسأل عما تشاء، فلا يوجد سر إلا وتجد عندي مفاتيحه

- إذا كان الامر كذلك فأخبرني كيف أصبح إبليس ملكًا عليكم بعد أن كان لكم عدوًا مبيّنًا؟

- لهذا الأمر حكاية لا يعلمها إلا القليل؛ بعد أن أصابت إبليس اللعنة لم يجد له مكانًا، لا في السماء ولا على الأرض، فظل لأمد شريدًا، تسخر منه جميع الكائنات، العظيم منها والحقير، حينها كنا محاصرين في

- الجزر، من يحاول منا الهرب تمسكه الملائكة وتسقيه العذاب الوويل،
فمد لنا إبليس يد العون للهرب، حتى لم يعد على الجزر أي مخلوق.
- ألهذا تعاونونه على إيذاء البشر؟
- المعركة ليس بيننا وبينكم، وإنما بيننا وبين الملائكة، ما أنتم إلا
بمثابة أرضاً للمعركة.
- لكنكم تعاونون إبليس الذي أقسم أن يضلنا.
- إنما يضلكم ساداتكم وأكابركم الذين تتبعونهم فيضلونكم السبيل.
- نحن لا نتبعهم عن قناعة، وإنما نحن على اتباعهم مكرهون،
فبيدهم مقاليد كل شيء ولو عصيناهم لمتنا من الجوع.
- ألا تؤمنون بالله الذى كفل الطعام لكل مخلوق.
- الله يسبب الأسباب لكل الأمور.
- ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجرون؟
- نحن على ما وجدنا عليه آباءنا سائرون.
- الصمت خير من ترديد كلام الكافرين.
- هكذا كتبت أقدارنا، الضعيف فينا يموت مسحوقاً والشجاع إن
عصى يموت مقتولاً.. هذا ما يحدث على مر العصور.
- لا ترمِ المسؤولية على القدر، فقد أمرتم بالإيمان به لا الاستسلام
له.
- وكيف هذا؟

قال: المرض قدر، فلماذا إن أصابكم سقم فعن الطبيب تبحثون؟

صمتُ مغلوبًا على أمري لا أدري ماذا أقول، فسألني:

- هل لك مسألة أخرى تريدها قبل أن أرحل؟

- هل أجد عندك شيئًا من أحاديث إبليس؟

- نعم، "شقي من عاش على الماضي فهو إما نادماً على ما فعل أو

متحسراً على ما لم يفعل، وأشقى منه من علق حياته على أشياء

يأمل أن تحدث في المستقبل"، هذا كل ما عندي، إن أردت الاستزادة

فأذهب إلى الملك جامور زعيم الجن الأزرق.

- وأين أجده؟

- ستدلك رويان على مكانه، لكن كن حذرًا، فلا تذكر اسم من أسماء

الله أمامه، وقتها لن ينفعك أحد، ولن ينجيك هرب.

كعاداتها كانت تسير مسرعة، لم أسع للحاق بها ولم أطلب منها

التمهل، تنبعت هي إلى بعد المسافة فتوقفت حتى كدت أن أحاذيها

فعدت تسير، لكن تلك المرة أبطأت في إيقاع خطواتها، ويبدو أنها

استحسنست صمتي فلم تبادر بفتح أي باب للكلام حتى وجدتنا على

شاطئ بحر وأمامي غابة من الصواري والأشعة، أبديت اندهاشي

متسائلًا: أليس باستطاعتكم الطيران؟

- القليل منا يمكنه الطيران وليس الكل.

سرنا بمحاذاة الشاطئ حتى وصلنا إلى ممر مزدحم بالمارين ذكوراً وإناثاً يذهبون ويجيئون، منهم من يمشي على أربع ومنهم من يمشي على اثنين، ومنهم من يزحف على بطنه، انتهى بنا المسير إلى المرفأ، كل السفن ضخمة وكأنها صنعت لتحوي من كل المخلوقات اثنين، لكن لسوء طالعي أشارت إلى مركب أقرب لقارب منها لمركب وسبقتنى إليها.

وددت لو لم أتبعها لكن لم يكن من أمري إلا الامتثال، بمجرد وقوفنا على ظهر المركب انطلقت تشق طريقها بين السفن بسرعة لم أتوقعها، دنت المركب من شاطئ إحدى الجزر رويداً رويداً حتى رست فهبطنا منها، لم أجد ثمة حياة على الشاطئ؛ لا طير أو شجر، سرت خلفها على الأرض الرملية مسافة حتى وجدنا باباً في الأرض دخلت هي منه وأشارت إليّ أن أتبعها، أوصلنا الباب إلى دهليز مستطيل أرضه وجدرانه من الرخام وفي نهايته باب، سرت خلفها وهي تجتاز الأبواب والممرات، نعبر باباً كبيراً لنسير في ممر ضيق ينتهي بباب يصل بنا إلى ممر أضيق، كنت أسير خلفها صامتاً وفي أحد الممرات تعثرت إحدى قدمي في شيء لم أتبينه فكدت أسقط، بشكل لا إرادي مددت يدي لأتثبت بأي شيء ، فلمستها دون قصد. سرت في جسدي رعشة تلاها تنميل فبدأت أنقل قدمي بصعوبة، بعد عبورنا الباب الثالث فكرت أن أقطع الصمت بيننا وأسألها عن عدد

الأبواب والممرات التي يتوجب علينا اختراقها لكنني لم أنطق وشغلت نفسي بعد الأبواب، أمام الباب السابع قالت لي: قوّ قلبك ولا تخف. كلامها أصابني بالرعب، تسارعت دقات قلبي إلى أقصاها وبدأت تتدافع وتتزاحم في رأسي كل صور الهلاك، وعندما عبرنا الباب وجدت نفسي في فناء مستطيل له باب لم أجد به شيء نظرت إليها ساخرًا، فجأة انفتح الباب على مصراعيه وظهر أمامنا مجموعة من الجن مستطيلي الوجوه، جاحظي الأعين، بارزي الأسنان، زُرق البشرة والأجنحة، ارتجف جسمي من الرعب وكادت أن تفلت مني صرخة، لكنني جززت على أسناني بقوة وأجهضت خروجها، بدؤوا يحومون حولنا.

أغمضت عيني حتى أعيد الطمأنينة إلى نفسي، وبدأت أصغي السمع لحديث يدور بينهم وبين رويان لكنني لم أفهم من لغتهم شيئًا، فجأة عم الصمت المكان ففتحت عينيّ ببطء ووجهت نظري إلى نقطة ما في الأرض ثم رفعت رأسي لأعلى فصدمتني نظرتة الحادة إلي، لم أصدر ردة فعل إرادية أو لا إرادية، تماسكت رغم خوفي وزاد خوفي عندما لم أجد رويان معنا.

قال: وجودك على أرضنا أكبر دليل على اقتراب الآخرة.

- أمل ألا أقف يومها بجانبك.

- أول سكان الجحيم من بني جنسك.

- لا يعني هذا أن الجنة سيسكنها مثلك.

- احبس لسانك خلف أسنانك وإلا نلت العقاب على كلامك.

التزمت بالأمر وسكت، فسَادَ الصمت للحظات، قطعها هو بوجه يطفح بالغضب قائلاً: ماذا تريد؟

- أتيت لجمع أحاديث إبليس.

- إذن أخطأت الطريق.

- سوف أخبر إبليس أنك امتنعت عن إعطائي الحديث.

- إن لم تذهب الآن فسوف يمسك مني عذاب أليم.

تقلصت ملامحه حين قلت: "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" وتغير لون عينيه، وبدأ يتصلب حتى خيل إلي أنه سوف ينفجر أو يتفتت، التفت نحو الباب وبدأت أسبق الريح، أجتاز الممرات والأبواب، لا أعلم كيف خرجت من الدهليز، لم ألاحظ في البداية الأمر، لكن عندما هدأت تلفت حولي فوجدتني في غابة ولا أثر لرمل أو بحر، لم أدر ماذا أفعل.

سرت أجرى وأنا أصرخ في الفضاء باسم رويان، كنت خائفاً كطفل تاه عن أمه، شعرت بالأمان عندما وجدت على مقربة مني أكواخاً تشبه أكواخ الصيادين، سرت أعدو في اتجاهها، لكنه أمسك بي قبل أن أصل، وضعت يدي على وجهي أحاول أن أحمي نفسي من ضرباته وقلت وأنا أبكي: "أقسم أنني لم أقصد إيدانك".

- اهدأ ولا تخف.

ففتحت عيني فوجتني أمام جني آخر لا أجنحة له، قلت: من أنت؟

- أنا هافور الجني المكلف بمراقبتك.

- أين رويان؟

- لا اعلم منعونا من الدخول معك فغادرتُ وتركتني أنتظر، ربما

تنتظر في المركب، لكن أخبرني ما الذي حدث في الداخل؟

قال بعد أن حكيت له ما دار بيني وبين زعيم الجن: نجوت من القوم
الظالمين.

- الحمد لله.

- أين تريد أن تذهب؟

- أي مكان بعيد عن هذه الجزيرة.

سار بي حتي قطعنا الغابة ووصلنا البحر، فوجدنا رويان تقف على
سطح المركب في انتظارنا، رويث لها ما كان، فقالت: أنت هالك لا
محالة.

- لقد هربت، وعلى إبليس أن يوفر لي الحماية.

- لن يعصمك أحد من عقاب جامور، حتى وإن كان إبليس.

- عليه أن يعيدني إلى أرضي إن عجز على توفير الأمن لي في
أرضه.

- تخطئ إن ظننت أنك ستكون بأمان إن عدت.

- سأعتصم بمكان لا يدخله الجن.
- سوف تطولك أياديهم ولو إلى رحم أمك عدت.
- إذن ماذا عليّ أن أفعل؟
- لا أعلم، سأذهب إلى الكاهن الأعظم علّه أن يجد لمشكلتك مخرجًا.
- كان يجب ألا تتركيني.
- لم يسمحوا لي بالبقاء معك.
- قال هافور: حسنًا، حتى ذلك الوقت سأخذك معي في مكان لن يخطر للجن على بال.
- فسألته رويان: أين؟ أجابها: إلى زفاف أحد أبناء الجان الأحمر.
- قالت: فكرة رائعة، لكن إن فشلت فستكون العواقب وخيمة.
- لن تفشل إن بقي بجانبني والتزم الصمت
- عدنا بالمركب إلى حيث كنا، تركتنا رويان وانطلقت بصحبة هافور، حتى وصلنا إلى أرض خلاء بها جسر، قسّم المدعوّين إلى فريقين، فريق يرتدون زيًا موحدًا أسود اللون، والآخر ثيابهم زاهية ، تطوع هافور فبدأ يشرح لي المشهد، أشار إلى أحد الأطراف وقال: هنا يقف العزاب، أما هناك فيقف المتزوجون، وهذا يبرر لك لماذا هؤلاء يبدو عليهم الفرح أكثر... يعبر العروسان الجسر من أرض العزاب إلى أرض المتزوجين وهكذا يصبحان زوجين.

- بهذه البساطة؟! -

- نعم.

- ومن ذاك الذي يقف هناك في وسط الجسر؟

- إنه الملك سنكا زعيم الجان الأحمر.

في تلك اللحظة بدأ العروسان يعبران الجسر، عندما وصلا إلى الكاهن توقفاً، ظل يوصي الكاهن كلاً منهما بالآخر بمجموعة من الوصايا تنم عن كامل الحكمة أجملها في نظري "إياكم والشك، فكل البذور تحتاج إلى وقت لتنمو إلا بذور الشك فإنها تطرح ثمارها المسمومة في نفس الوقت".

أعجبتني كلماته، فعزمت الأمر على أن اتحدث معه بعد انتهاء المراسم، فوقفت أنتظر حتى يتم كل شيء ثم سعيت إليه. استقبلني وكأنه يعلم بقدمي مسبقاً. قلت أردت أن أعبر عن أعجابي بوصاياك التي لا تقل منزلة عن وصايا الحكيم القديم بتاح حتب.

- أشكرك.

- هل أطمح في بعض من علمك أنقله لبني جنسي.

- لا أظن أن البشر يحبون الاستماع إلى الحكم.

- الحكمة تعيش وإن مات صاحبها، فقل لي لو كنت في زفاف لأحد بني البشر فماذا كنت ستقول؟

- لنصحتهم ألا يتزوجوا.

دهشت من رده، فأخر ما كنت أتوقع سماعه ما قاله، فأردف:
- امسح عن وجهك الدهشة واسمعي جيدا، الزواج أمر منافٍ تمامًا
لما فطر عليه الإنسان، فهو ملول لأبعد الحدود، يسعى دومًا للتغيير
حتى وإن كان للأسوأ.

- أليس في حكمك بعض التجني على الإنسان؟

- إطلاقًا، ألا تعلم أن جدك آدم مل من الجنة.

- لأنه كان وحيدًا والأمر اختلف عندما خلق الله حواء.

- لم يختلف شيء، صدقتي ما أتى آدم الشجرة طمعًا في الخلود إنما
أتاها بعد أن أصابه الملل وشعر أن كل ما حوله أصابه البلى، بعد أن
فقد كل شيء بريقه في عينيه، فأغراه إبليس بملك لا يبلى، أي لا يمل
منه.

- دعك من جدنا فقد وعينا الدرس وإن عدنا إلى الجنة لن نقرب
الشجرة.

- لا أظن، فأنا من بني آدم أرى عجب العجاب، هو دائم التبرم من أي
حال، وإن أدخله الله الجنة فلن يعجبه الحال.

فجأة حدث صخب وهرج ومرج في المكان نتيجة لاشتباك الجان
الأزرق والجان الأحمر، وفتت أتابع المعركة، وأنا لا أدري ماذا علي
أن أفعل، حتى سمعت هافور يصرخ علي أن أهرب، فصرت أجري بلا
هدى في الشوارع المتداخلة، وتلقاني أسراب من الجن الأزرق، حتى

وجدت باب الحياة على مرمى البصر، فسرت في اتجاهه وأنا لا ألوي
على شيء، لم يخطر في بالي حينها أنه سيفضي بي إلى هذا المكان
العجيب وأن مغامرتي مع الجن لم تنته بل بدأت للتو..

تمت